**المحاضرة السادسة: بذور التعليمية في التراث**

**تمهيد:** اهتمّ العلماء العرب القدامى بالتعلّم و التعليم و القضايا المتّصلة به منذ القدم، فأبرزوا أهميته و طرائق تحصيله، و مراحل امتلاك المعرفة ، و كثير من هذه القضايا أثبتها علم التربية و الديداكتيك الحديث. فما هي أهم هذه الملاحظات و الآراء؟

**1- ملامح التعليمية في فكر ابن سينا:** لابن سينا أفكار تعليميةبارزة في كتابه " القانون في الطب"، أكّدتها الدراسات الديداكتيكية و التربوية الحديثة، من ذلك تفطّنه إلى أهمية الجانب الحس الحركي في نموّ الطفل و تربيته و صحّته الجسدية و العقلية من خلال التركيز على ضرورة ممارسة المتعلّم للمهارات الحركية المختلفة بعدّها مكمّلة للمجالين المعرفي و الانفعالي، و في هذا الصدد يقول::" هي حركة إرادية تضطر إلى التنفس العظيم المتواتر و الموفق لاستعمالها على جهة اعتدالها في وقتها به غناء من كلّ علاج تقتضيه الأمراض المزاجية التي تتبعها".

كما أشار إلى أهمية التعزيز - كمصطلح حداثي ديداكتيكي- إذ أكّد أنّ نفس المتعلّم تنفر من الأشياء التي تكرهها ، فينبغي تقديم المحتوى للمتعلم في قوالب و أشكال جذابة و مشوقة.

**2- في فكر الخطيب البغدادي:** اهتم الخطيب البغدادي بالتعليم اهتماما بالغا حيث فصّل في فضله في كتبه المختلفة و ركّز أكثر على المتعّلم و جعله العنصر المركزي في العملية التعليمية من خلال التأكيد على أهمية عنصري الممارسة و الحفظ كآليتين من آليات اكتساب المعرفة( الحفظ و المران)

و أكّد ما جاءت به نظريات علم النفس التربوي الحديثة التي عرّفت التعلم على أنّه عملية تعديل في السلوك نتيجة التغيرات الحاصلة في الفرد.قال:" إنّما العالم من اتبع العلم و استعمله و اقتدى بالسنن"

كما عرّج على أهمية التواصل البصري بين المعلّم و المتعلّمين مؤكدا على فاعلية حاسة البصر في ترسيخ التعلّمات ، إذ أوضح أنّ:" ما يذكر درسا واحدا لجميعهم فإنه بأمرهم بأن يتحلّقوا و يجلس في وسطهم بحيث يبرز وجهه لكلّهم"، كما أوصى بالتأنّي و التؤدة في شرح المعلومات حتى يستوعب أغلبية المتعلمين و يراعي بذلك ما بينهم من فروق فردية.

**3- أبو حامد الغزالي:** فصل أبو حامد الغزالي في صفات التعلّم الناجح و وسائله المحققة لمخرجات تعليمية واضحة، من ذلك تأكيده على دور كلّ من الثواب و العقاب بعدّهما من آليات التعزيز التعليمي، محدّدا دور المعلّم فيهما:" أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريقة التعريض أن أمكن "

كما أشار إلى ضرورة مراعاة المرحلة العمرية التي وصل إليها المتعلّم و كذا قدراته العقلية أثناء اختيار المحتوى التعليمي مستعينا بالتدرّج و الانتقال من السهل إلى الصعب و من المعلوم للمجرّد...يقول:" أن يقتصر بالمتعلّم على قدر فهمه فلا يلقي إليه مالا يبلغه عقله".

**4- التعليمية في فكر ابن خلدون:** نهج ابن خلدون في باب التعليم أساليب وفنونا متنوّعة، فله فكر وفلسفة واضحة يمكن حوصلتها في النقاط التالية:

1- يرى أنّ التعليم صنعة لا تحصل إلّا بحصول الملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله.

وهذه الصنعة لا تتمّ إلّا على يد مختص عارف بالعلم، وهنا يؤكّد على أهم شرط من شروط ممارسة المعلّم لفعله التعليمي هو امتلاكه للمعرفة بمجاله، والإحاطة بمحتواه وعناصر درسه الّتي خطّط لها.

2- أكّد ابن خلدون على أنّ التعلّم ملكة فطرية في الإنسان يقول: "الفكر الإنساني طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر سائر مبتدعاته، وهو وجدان حركة للنفس في البطن الأوسط من الدماغ تارةً يكون مبدأ للأفعال الإنسانية على نظام وترتيب، وتارة يكون مبدأ العلم ما لم يكن حاصلا بأن يتوجّه إلى المطلوب"، فابن خلدون بهذا الطرح المتقدّم لكيفية التعلّم يتّفق مع تشومسكي الّذي يرى أنّ التعلّم ملكة فطرية في دماغ الإنسان وما على الإنسان إلّا تشغيلها وتزويدها بالمعلومات الّلازمة للنشاط.

ويشير ابن خلدون أنّ تحصيل الملكة( التعلّم ) ليس على درجة واحدة وإنّما هناك تفاوت بحسب ما يملكه هذا المتعلّم من قدرات عقلية وتطويرها لا يكون إلّا بكثرة المران والممارسة.

3- المرحلية والتدرّج: يذكر ابن خلدون أنّ التدرّج سنة كونية تتعلّق بكلّ شيء وفصّل في مراحل تعلّم أي علم كالآتي:

- مرحلة أولى ينتقل فيها العلم من الإجمال إلى التفصيل يشرحها قائلًا "اعلم أن تلقين العلوم للمتعلّمين إنّا يكون مفيدًا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا يلقى عليه أوّلًا مسائل من كلّ باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرّب له في شرحها على سبيل الإجمال"

- مرحلة ثانية يكون فيها التفصيل والتعمّق وأكثر في مسائل العلم شرحًا وإيضاحا وتمثيلًا، يقول:"يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الإجمال، ويذكر له ما هناك من الخلاف".

- المرحلة الثالثة: وهي مرحلة يحصل فيها التمكّن والتبحّر في العلم يقف فيها المتعلّم على العلم وفهم الاختلافات فهمًا عميقا والتمكّن من مسائله.

4- الربط بين المحسوس والمجرّد: وقد أشار إلى هذه القضية مركّزا على ضرورة الربط بين الصورة ودلالتها حتى تنفذ إلى الذهن وتدرك، فيرى أنّ "معرفة الألفاظ ودلالتها على المعاني الذهنية تردّها من مشافهة الرسوم للكتاب ومشافهة اللسان بالخطاب، فلابدّ أيها المتعلّم من مجاوزتك هذه الحجب كلّها إلى الفكر في مطلوبك".

5- حدّد ابن خلدون عوائق التحصيل الّتي تحول دون تحقّق تعلّم جيّد، ويتعلّق بعضها بالمنهج وبمنهجية التعليم منها:

- كثرة التأليف في العلم ممّا يجعل فعل التعلّم منهكا ومتعذّرا لاسيما إذا اختلف المؤلّفون في تبنّي المصطلح فتضارب واتّسع.

- يرى أنّ الشدّة على المتعلّمين من العوائق الّتي تحول دون تعلّم فعّال لأنّها ضارة بهم وتؤدّي إلى انقباض النفس والكسل.

- الاختصارات الّتي تتطلّب جهدا كبيرا من المتعلّم قصد تتبّع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم وصعوبة استخراج المسائل منها فالمتعلّم يحتاج في فهمها إلى شروح وتوضيح.

- الجهل بطرائق التدريس المناسبة للمحتوى والمتعلّم، وقد عاب ابن خلدون على معلّمي عهده ذلك قائلًا: "وقد شاهدنا كثيرا من المعلّمين لهذا العهد الّذي أدركنا يجهلون طرق التعليم وإفاداته"

- الخلط بين العلوم وإكثارها على المبتدئين فقد دعا المعلّم إلى أن يسعى لتحصيل المتعلّم للعلوم مستقلّة عن بعضها البعض، يقول: "ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم ألّا يخلط على المتعلّم علمان معا فإنّه حينئذ قلّ أن يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كلّ واحد منهما".

إنّ هذه الأفكار الّتي حملها فكر العرب الأوّلين هي من صميم النظريات الّتي تأسّست عليها علوم التعليم الحديثة ونادت بها الاتجاهات والنظريات التربوية الحديثة.

**خاتمة:** لم تنشأ التعليمية بمحض الصدفة وإنّما بدأت أفكارا متناثرة في كتب العلماء القدامى، إذا أشار العرب القدماء إلى كثير من القضايا التعليمية المبثوثة في مؤلفاتهم القيّمة: كتحديد ماهية التعليم وشروط التعلّم، وطرائق التدريس الناجعة وكيفية اختيار المحتوى التعليمي المناسب... وغيرها من القضايا الّتي أثبتتها وتبنّتها مباحث التعليمية الحديثة.

**قائمة المراجع:**

-ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار الفكر ، بيروت، لبنان،2001.

-أبو حامد الغزالي: الإحياء، عالم الكتب، دمشق، دط،دت، ج1.

-أحمد معلوم سالك: الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي،مكتبة لينة للنشر، مصر،ط2، 1993.

- حميدات ميلود: التعليمية عند أبي حامد الغزالي من خلال وظائف المعلم و المتعلّم، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ،ع1،ديسمبر 2010.

-عبد الأمير شمس الدين: الفكر التربوي عند ابن خلدون و ابن الأزرق، دار إقرا، بيروت ، لبنان،ط1، 1984.

- فتيحة حداد: ابن خلدون و آراؤه اللغوية و التعليمية ، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر ، جامعة تيزي وزو، 2011.

- محمد عبد اللطيف: الفكر التربوي عند ابن سينا،وزارة الثقافة و الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2009.